بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين قيّوم السماوات والأرضين، والصلاة والسلام على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد صاحب المقام المحمود، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد،

فالسلام عليكم أيها الحفل الكريم ورحمة الله وبركاته، ودعوني آثر ذي أثير أن أتقدم إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور أحمد الطيّب باسمي واسم علماء الحديث في العراق بالشكران على دعوته، والعرفان بفضله في الدفاع عن بَيْضة الإسلام عمومًا وسُنّة المصطفى خصوصًا تجاه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، مما سَيُدوَّن في صحائف الفخر، ويَعْمَرُ على مَرّ الدهر.

أيها الإخوة:

إن الأمة، ما بين مشرق للشمس ومغيب تمر في هذه الأيام الحوالك بخطب خطير ومصاب كبير ورزء أليم يتمثل بتكالب العدوان عليها، وقيام أعدائها بخلق بؤر التوتر فيها، واصطناع وتمويل القاسطين المجترين على أحكام الشريعة الغراء الدائرين بدائرة السوء على الجماعة رحاها، الشاقين عصاها، المستخفّين بحقوق أئمة أهل العلم، المنازعين الأمر أهله.

لقد وجد أعداء الإسلام في هؤلاء الجهلة المتطرفين الإرهابيين سلاحًا يحاربون به الإسلام والمسلمين، فمَكّنوهم في بعض البُلدان وأشاعوا أفكارهم الهدّامة، وأعانوهم على استباحة الدِّماء، وانتهاك الأعراض، وسَلْب الأموال، وتفجير المساكن والمساجد والكنائس، وتخريب المُنشآت، وفي كل هذا هتكٌ لحديث المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه في حجة الوداع: «إنَّ دماءَكم وأموالكم عليكم حرامٌ كحُرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تَلْقَوْنَ ربّكُم». واختاروا لهم زعماء ممن اشتهروا بضحالة العلم، وقلة التفقه بالدين، وسوء فَهْم للقواعد الشرعية، وتفرد في الشِّقاق، بحيث يمكن أن يصيروا جرثومة الخلاف والنِّفاق، ثم اتخذوا لهم رؤوسًا جُهّالًا يَسْتَجهلون أعيان العلماء والشيوخ الحكماء، يُسْتَفْتَوْنَ فيُفْتُون بغير علمٍ فَيُضِلُّون ويَضِلّون.

ومما يؤسف عليه أنَّ هؤلاء الجهلة كثيرًا ما يعتمدون الأحاديث الموضوعة والواهية التي اخترعها الكذّابون لأسباب متعددة؛ عقائدية وسياسية ومصلحية والمبثوثة في مصنفات كُتِبت في زمانها لمثل هذه الأغراض والأعراض، مثل كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد الخُزاعي المَرْوزي الذي ألَّفه لمناهضة الدولة العباسية وساق فيه من الأحاديث الموضوعة والمنكرة والواهية ما هو معلوم عند أهل العلم تحقيقًا لهدفه المنشود.

ومن المعلوم في بدائه العقول أنَّ التطرف والإرهاب هو الخروج على إجماع أهل العلم استنادًا إلى أدلة متهاوية، أو فهم مغلوط لأحاديث صحيحة، أو تفسيرات شاذة لنصوص لم يقل بها كبير أحد من أهل المعرفة والإتقان.

إن التطرف هو الذي يتخذ الإرهاب وسيلةً لإرغام الخُصوم على اعتناق ما يؤمن به ويدعو إليه، وإن كان باطلًا، وهو أمر لا يلجأ إليه الواثق بنفسه، بل هو شعور متمكن في النفس بالهزيمة والخُسران حينما يفشل الإنسان بإقناع غيره بالحجة والبرهان.

وقد قال الله جل في علاه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٥٩]، فالرد إلى الله في كتابه الكريم وفهمه فهمًا سويًا، والرد إلى الرسول اليوم هو الرد إلى ما ثبت وصح من سنته الشريفة وفهمها فهمًا سويًا أيضًا، فإن احتملَ النصُّ معانٍ متعددة فالفيصل في ذلك إلى جماعة العلماء، وقد أُسِّسَت لهذه الجماعة مؤسسات مثل الأزهر الشريف ومؤسساته المتنوعة، ومثل المجامع الفقهية التي تُصْدِر الفتاوى بعد الدراسة والتمحيص وتبادل الآراء، فمثل هذه المؤسسات هي رأس الجماعة العلمية، وأصل الإمرة المُطاعة، يُناخ عليهم في النوازل، فهم المقصد عند المُعضلة، وهم المفتاح لكل مسألة مُقفلة، والمصباح لكل داجية مُشْكلة.

فعلى جماهير الأمة الركون إليها والاعتماد عليها، ونبذ ما سواها من الفتاوى التي يصدرها من وُلد بالأمس أو عَمِيَ عن الشَّمس، فأفتى بما تنفر عنه القلوب، ويوقع بها الندوب.

وعلى هذه المؤسسات تبصير الناس استنادًا إلى العهد الذي أخذَهُ الله على العلماء من عباده ليُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكْتُمُونه، والصبر عليه وكظم الغَيْظ والرِّفق والأناة، وأن لا يُقدَّموا رجلًا ويؤخروا أخرى في متابعة هذا البلاء حتى يقضي الله تعالى قَدَرَهُ ويُبلِغَ أمْرَهُ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته